Revista del Centro de Estudios Históricos de Granada y su Reino

NÚM. 3 AÑO 1913 TOMO III

CORRESPONDENCIA DIPLOMÁTICA entre Granada y Fez. (Siglo XIV).

VI

Nueva carta de Abulhachach Yúsuf a Abuinan Fáres felicitando a éste por sus triunfos sobre los abdelguaditas de Tremecen.

Luego de haber despachado el sultán de Granada Abulhachach Yúsuf a su embajador con la carta que va publicada en el artículo anterior, hubo de recibir y contestar otra de Abuinan Fáres sobre el mismo asunto, o sea la feliz campaña de éste contra los abdelguaditas de Tremecen.

Parece ser por las líneas que en el códice número 1712 (A) de la R. B. del Escorial preceden a la carta de contestación de Abulhachach Yúsuf, que la de Abuinan Fáres llegó con algún retraso a la corte de Granada, y que su emisario portador atravesó el mar desde la parte del Mogreb oriental (Argelia).

La nueva carta de Abulhachach Yúsuf, en que reitera su felicitación al sultán de Fez, por su gran fortuna y triunfo sobre los abdelguaditas, es como sigue:

ثم ورد كتاب اخر بشرح الكاينة قطع الرسول به البحر من جهة البلاد الشرقيّة فكتب في جوابه ما نصّه[1].

1) Cód. 1.712, fol. 21 y sigs. En el 1.825, fol. 62 v. y sig., se lee como motivo de la carta, lo siguiente: وصدر عني في هناء السلطان الكبير ابي عنان رحمه الله عقد ما اتيح له النصر على قل بني زيان بمدينة تلمسان وذلك في عام اثنين وخمسين وسبعمائة.

المقام الذي اكواس انبا[1]) فتوحه ، على عبوف الزمان وصفوحه ، تدور دراكا ، وتغلاء سعوده توسع آماله القصيّة لحاقا بغايتها وادراكا ، وايدي القدر ، في حاني الورد والصدر ، تعلق اعداءه اشراكا ، وحدود عوارمه تابى فضولها المميّزة ان تدع في امره اشتراكا ، وعناية الله تصحب ركابه ، وتحفّ جنابه ، فلما[2]) رام سكونا او اعمل حراكا ، مقام محلّ اخينا الذي اخبار نصره لا تمل على الاعاده ، وآثار فخره[3]) مسطّرة في اوراق السعاده ، وآية صنع الله له خارقة حجب العاده ، وبيّنه الصالحة[4]) الخالصة لله ضامنة له بلوغ الاراده ، ابقاه الله يمهّد قواعد الملك الاصيل فلا يعارضها فرق ، ويستخلص ديونه فلا يتعذّر عليه منها حق ، ويشيم بوارق النصر العويز فلا يخلف منها برق ، ويقتحم الاهوال وصدره رحب ووجهه طلق ، فكلما عرضت غاية[5]) بزّ كان له سبق ، معظم مقامه الذي استوجب التعظيم بكلّ اعتبار ، ومقابل[6]) ملحه بكلّ اجلال واكبار ، المغنى على مدارمه التي جيادها للغايات ذات ابتدار ، وديمها في انهمار ، فلان سلام نرديم طيب بزّ عميم ، كما حيّا نسيم الصباح بطيب هبّته ، ورفعت راية النهار على عضبته ، يخص مقامكم الاعلى ، ومثابتكم الفضلى[7]) ، ورحمة الله وبركاته .. اما بعد حمد الله الذي طوّقنا مواهبه النعيمة تطويقا ، واوضحت لنا عنايته من الشكر طريقا ، الذي جعل عزمكم للنجح رفيقا ، ولم يعدم آراءكم السديدة توفيقا ، وشفا بسيوفكم عليل ذلك القطر فاصبح بعد الاشفاء مفيقا ، وردّ الى عصمة ملككم عقائل تلك الاقطار قد[8]) سامتها الفتنة مفارقة وتطليقا ، فاجّتلت بكم وجه السعادة طليقا ، وآوت الى الظلّ الذي جعله الله باجتماع كلمة الخلق[9]) خليقا ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي اطلع نور الرسالة والهداية فارشد ضلالا وانقذ غريقا ، وسلم كلمة الكفر طمسا وسبب الفرقة تمويقا ، الذي نعتلق من جاهه عند انبتات الاسباب سببا وثيقا ، ونقصد منه يوم

1) Falta en B. 2) Falta en A. 3) En B فتوحه. 4) Falta en B. 5) En B ايه عوضت. 6) En B ومايل. 7) Falta en B la última expresión. 8) En A وقد. 9) En B الخلق.

الفرع الاكبر ملجا[1]) بالفوز حقيقا ، ونوّم منه في الدنيا والاخرة شفيعا شفيقا ، والرضا عن آله واصحابه الذين اختارهم له حربا وفريقا ، فصدّقوا ما جاء به عن الله تصديقا ، ونصروا دعوته حتى بلغت مراد الله منها تغريبًا في الارض وتشريقا ، والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذي يستعذب منه منسم النصل[2]) ريقا ، والصنع الذي يبدي روض العناية الالاهيّة انيقا ، فانّا كتبناه اليكم كتب الله لكم نصرًا يطبق مفاصل الامال تطبيقا ، وسعدًا يفوق سهامه الى اغراضها تفويقا ، وعزًا يوسّع فصول التمهيد والتخليد تثبتًا في الارض وتحقيقا ، من حمرآء غرناطة حرسها الله وليس بفضل الله سبحانه لاّ الارتياح الى البشائر المثناه ، والانس بلقاء المآمل المتمناه ، والكلف بوجوه الفتوح المجتلاه ، والترحيب بالانبا[3]) التي تفلى الينا[4]) نواصي الفلاه ، وتركب متون السفن تجري في أعنّة الرياح المرسلات ، ونحن على ما تعلمون من الودّ الذي استقرّت اركانه ، وشهر مكانه ، وتمحّض الى جهة الوجوب امكانه ، نعتدّ بملككم الذي ترفّع شانه ، ونومل من ظهوركم على اعدآء الله يوما يرتقب زمانه ، ونثني عليكم ثناء الروض باكره من القطر هتّانه ، والى هذا وصل الله سعدكم ، وبلّغكم من فضله قصدكم[5]) ، فانّنا ورد علينا كتابكم الذي ظفر التعريف بالظفر واكّده ، وعضد اخاءه وايّده ، مركب[6]) ظهر الثبج خيضًا لجّته ، ويصدع احشاءه مستهديًا محجّته ، فاستجلينا غرّة البيان الحر ، وقلنا عادة البحر ان يقذف بالدر ، اي كتاب وسعه الخطاب الفصل ووشاه ، وزاير لا يبعد الله ممشاه ، جدّدنا العهد بسماع فصوله ، والشكر لصلته وموصوله ، ورويْنا حديث النصر متفقا على اختلاف الطرق ، وقابلنا منه[7]) نسخة الغرب بنسخة الشرق ، وقلنا هذا اصل ابي بحر والى مثله تردّ النسخ العتيقه ، وبه تحصل الثقة[8]) الوثيقه ، واثنينا على مجادتكم التي

1) En B منجا. 2) En B الفضل. 3) En A sin puntos. 4) En A sin puntos; en cód. C, fol. 106 v. falta todo el pasaje precedente. 5) En B, en lugar de la última frase, se lee وحرس مجدكم. 6) En B تركت. 7) Falta en B. 8) En B الوثيقة.

لم نقتصر في تعريفنا على خبر واحد ، ولا وقفت فيه باوّل وافد ، حذرا مما يعترض برد الرسايل ، من غوايل الطرق وطرف[1]) الغوايل ، فتابرت على تحصيل هذا الغرض حتّى حصل ، وصحب كل واحد منهما[2]) خبير سعدكم فسلم ووصل ، فتقرّر ما سنّاه الله لملككم من اعواز الملكه[3]) ، وتورّط عدوكم في هفوة الرّدى ومهواة الهلكه ، والفتح الذي قام بحساب الفتوح مقام الفذلكة ، وان من فواكم لما[4]) تناولت عرمانكم طرّده وعكسه ، ونازعته خصماء سيوفكم نفسه[5]) ، وجرّت عليه جيوشكم الجرارة اذيال[6]) الهوآيم ، واذكت عليه سعودكم عيون النومن النايم ، فمرّ وعقبان الخيل في اعقابهم ، وعيون النجوم تاخذ المراقب في ارتقابهم ، ورامو التنكر فعرفوا ، واستظهر عليكم سعدكم بالعدل والعلميّة فصرفوا ، وقد وكلهم الندم بعض الاباهم ، وعوّضهم القهر من امتطاء الذمم[7]) امتطاء الاداهم ، واصبحت البلاد قد سكن هايجها ، ومقدّمات الغوم قد صدقت تنايجها ، والكلمة قد اجتمعت ، واحكام الخلاف قد ارتفعت ، وادوية[8]) السياسة نجعت ونفعت[9]) ، وقد كنّا لاوّل ورود هذا الخبر اعطيناه حقّه من السرور بمقدمه ، وعيّنا رسولنا الذي اوفدناه على بابكم الكريم لتقرير ذممه ، والفآء ما يسع في استيفآيه عادة مجده وكرمه ، ونحن الان نعيد عنآكم ، ونذيع[10]) على هذه المحافظة ثناءكم ، وان ذهبنا الى تقرير ما عندنا من السرور بسروركم ، والابتهاج بانتظام اموركم ، رُمّنا تحصيل حاصل ، واجتهاد واضع واصل ، فجميع ما ينالكم من عزّ النصر ، وعلوّ الامر ، نصيبنا الاوفر فيه ، وحظّنا منه الحظّ الذي لا يرجحه غيره ولا يوازيه ، وعايدته على قطرنا بما يكبت طوايف اعاديه ، ويسكب بالامداد غيوث عواديه ، فتقوا منّ بالتشييع[11]) الصافية اثوابه ، والخلوص المفتحة ابوابه ، الله تعالى يُعلي ملككم[12]) الوثيقة اسبابه ، ويوبده حتى تمضى[13]) في جهاد اعدآء الله عصابه ، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله[14]).

1) En B وطوف. 2 En B منها. 3) En B المملكة. 4) En B كما. 5) En B ونازعته خصماء نفوسكم نفسه. 6) En B ذيول. 7) En A sin puntos; en B الدهم. 8) En B واودية. 9) Falta en B. 10) En A نذيع; en B نعيد. 11) En B بالتشيّع. 12) En B مقامكم. 13) En B يمضى. 14) En A solamente والسلام.

«Después llegó otra carta con exposición de lo sucedido, cuyo emisario portador había atravesado el mar desde la parte de las tierras de la Xarquía. En respuesta de ella fué escrito lo que sigue textualmente (1):

«El Estado de quien las copas de las nuevas de sus conquistas dan vueltas sin cesar a la hora de la bebida de la tarde y de la madrugada; los garantes de sus buenos augurios bastan a satisfacer sus esperanzas remotas alcanzando y agarrando su extremo; las manos del destino de un modo absoluto atrapan a sus enemigos en conjunto y de las puntas de sus sables las claras decisiones impiden que se asocien tranquilamente en su gobierno; la providencia de Dios acompaña a su estribo y rodea por completo a su Excelencia, ora desee reposar tranquilo o ponerse en movimiento. Estado como hermano nuestro, de quien las nuevas de su auxilio divino no molesta (oir) su repetición; las hazañas de su gloria están trazadas en las páginas de la felicidad; el versículo de la influencia divina en su favor rasga los velos de la costumbre, y su intención sana, sincera para Dios, le garantiza la consecución de sus deseos.—Dios le perpetúe para que consolide las bases del reino ilustre y no se oponga a ellas disgregación alguna; para que recobre las deudas que le son debidas, sin que prevalezca contra ellas derecho alguno: para que observe con atención los relámpagos del auxilio divino honorable y no deje atrás uno sólo de ellos, y para que desprecie los terrores, y su pecho quede ancho y su rostro alegre. Pues todas las veces que presente un término justo, sea para aquél la delantera (para alcanzarle).—Un venerador de su Estado al que es debido reverenciar con toda consideración, y un tributador a su Majestad de toda excelencia y grandeza, el que elogia sus generosas acciones, cuyos excelentes caballos están dotados de precipitada carrera para los límites, y sus lluvias en continuo derramamiento, fulano, salutación noble, sincera, cumplida, así como vivifica el suave céfiro de la aurora con su excelente soplo y se alza la señal del día claro sobre su colina, tributa a vuestro Estado muy alto y a vuestra Señoría muy excelente, y la misericordia de Dios y sus bendiciones.

Ahora bien; después de alabar a Dios cuyos favores cumplidos nos rodean como collar el cuello, y cuyos presentes nos esclarecen el camino de la acción de gracias, el que hizo a vuestra firme resolución

(1) En el cód. B se expresa el motivo del siguiente modo: «Y compuse en felicitación del sultán grande Abuinan —Dios se apiade de él— cuando le fué determinada la victoria sobre los desperdigados de los benizeyan en la ciudad de Tremecen, y esto ocurrió en el año 752 (1351)».» Esta fecha está equivocada. Abenjaldun y Altenesy dan la fecha de 753 (1352) para la ocupación de Tremecen por Abuinan, v. ob. y lugar citados.

compañera de la prosperidad, y no privó del buen éxito a vuestros juicios rectos; curó con vuestros sables lo enfermo de esta región, que amaneció vuelto a su estado sano después de aplicarle el remedio curativo, y convirtió hacia la protección de vuestra Majestad lo más preciado de estas provincias, cuando ya la revuelta interior les imponía la separación y el divorcio: pues se os mostró alegre la faz de la fortuna, y la palabra de las gentes vino a refugiarse bajo la sombra que Dios le había puesto para reunión. Y después de la salutación a nuestro jefe y nuestro señor Mohámed, su profeta, el que hizo que apareciese la luz de la misión profética y de la buena dirección; pues enderezó al extraviado y salvó al sumergido en el error y destruyó la palabra de la infidelidad y la dispersó completamente; aquél a cuyo honor nos adheriremos con fuerza como a causa de confianza, al tiempo de la decisión de las causas; en el que conseguiremos en el día del gran terror, un refugio merecedor de la salvación y en el que tendremos en este mundo y en el otro un intercesor compasivo. Y después de solicitar la piedad de Dios sobre la familia de aquél y sus compañeros, a los cuales escogió para que fuesen para él como banda y partido, dieron fe sincera a lo que trajo de parte de Dios, y defendieron su vocación hasta que llegó a cumplirse la voluntad de Dios respecto de ella en el oriente y occidente de la tierra. Y después de invocar para vuestro Estado muy alto el auxilio de Dios por el cual se dulcifique la boca de los sables sonriente, y el influjo que manifieste los jardines placenteros de la providencia divina, Nos os escribimos esta —Dios os tenga otorgado un auxilio que ajuste completamente las articulaciones de las esperanzas, y una felicidad cuyas flechas perfectamente empulgadas toquen en sus blancos, y un poder que dilate los fundamentos de firmeza y perpetuidad de un modo fijo y arraigado en la tierra – desde la Alhambra de Granada– guárdela Dios y no sean, por virtud de Dios que alabado es, a no ser la tranquilidad alegre por las albricias repetidas, el solazamiento por la consecución de las esperanzas deseadas, el afecto amoroso hacia las fases de las victorias manifiestas, la dilatación de las buenas nuevas que escudriñe para nosotros los tupés de cabellos del desierto, y el montar los lomos de los barcos que corran entre las riendas de los soplos de los vientos.

Nos según lo que sabéis del amor (nuestro hacia Vos) cuyos fundamentos son firmes y notorio su lugar y cuya posibilidad se purifica ante la obligación debida, confiamos en vuestra Majestad, y esperamos de vuestro triunfo sobre los enemigos de Dios un día cuyo tiempo se aguarda, y os alabaremos como alaban los jardines al que los visita de madrugada con las gotas de sus nubes.

Y a esto—Dios haga que perdure vuestra felicidad y os permita

conseguir, por su virtud, vuestros propósitos—ha venido a Nos vuestra carta que ha dado el triunfo a la información y la ha ratificado y ha ayudado a su compañera y la ha confirmado montada sobre la cima del lomo, penetrando en su plena mar y atravesando sus entrañas para demandarle ser conducida por su gran ruta. Pedimos que se manifestase la primera luna de la elocuencia pura y dijimos: es costumbre del mar que vomite sus perlas, es decir, una carta cuya materia dilata la elocución y la embellece; y a un visitador no le aleja Dios su camino. Reiteramos la amistad al escuchar sus cláusulas, y la gratitud por su favor y su adjunto. Referimos la tradición del auxilio divino en conformidad con la variedad de los caminos, y confrontamos respecto de él la copia del occidente con la copia del oriente y dijimos: este es el original de Abubáhar, y a su semejanza se reducen las copias antiguas y con él se obtiene la confianza firme. Y alabamos a vuestra Excelencia la cual no se ha limitado al informarnos, a una sola noticia y no la confió a un solo enviado, por temor a lo que de accidentes de los caminos y diferentes maneras de calamidades vienen a interceptar la venida de las cartas misivas. Pues se aplicó con asiduidad a conseguir este propósito hasta que resultó, y acompañó a cada una de ambas (cartas) un bien informado de vuestra felicidad, y se salvó y llegó. Han sido ratificados lo que Dios facilita a vuestra Majestad de profesar afecto a su realeza y de precipitar a vuestros enemigos en el error de la perdición y en el abismo de la ruina, y la conquista que, en el orden de las conquistas, ha obtenido el lugar de la totalidad. Pues ciertamente quien se os resiste en lo que intentan vuestras firmes resoluciones, (consigue) su expulsión y su propia contrariedad. Los filos de vuestros sables le disputan la vida, y vuestros ejércitos le causan la más humillante de las derrotas. Vuestros felices augurios le enviaron espías durante el tiempo del dormir. Pasaron (los enemigos), y las extremidades de los caballos en sus talones, y los ojos de los astros tomaron las torres de los vigías para observarles. Desearon disfrazarse, mas fueron conocidos; y se mostró a ellos vuestra fortuna con la justicia y la ciencia, pero la despidieron. Ya les había recomendado uno de sus padres el arrepentimiento, les había cambiado la violencia por montar sobre la protección, cumpliendo el pago de la deuda, y ya las ciudades amanecían con su cólera en calma; las premisas de la firme resolución hacían verdaderas sus conclusiones, la palabra vino ya a congregarse; los juicios de la contrariedad ya desaparecían, y los remedios curativos de la administración ya daban su buen efecto y resultaban provechosos.

Ya Nos a la primera llegada de esas noticias, les habíamos expresado el contento que su envío merecía, y a nuestro embajador que despa-

chamos hacia vuestra Puerta ilustre, le especificamos muy particularmente para que ratificase su amistad protectora, y presentase aquello que es costumbre que su Excelencia y su Nobleza reciba merecidamente. Nos ahora reiteramos vuestra felicitación y divulgaremos por esa conservación vuestro elogio.

Aunque marchásemos a confirmar lo que hay en Nos de alegría por vuestra alegría, y de gozo por la buena ordenación de vuestros asuntos, aún desearíamos rellenar el almacén y adquirir más y continuadamente; porque en todo lo que Vos alcanzáis del poder del auxilio divino y de la elevación del gobierno, obtenemos Nos en ello la parte más abundante, y su porción nuestra es tal que ninguna otra pesa más en la balanza, ni tiene correspondiente. Su utilidad sobre nuestra región está en lo que humilla a las bandas de sus enemigos y en los socorros que derraman las nubes de sus tropas. Estad, pues, Vos confiado en nuestra adhesión cuyas vestiduras son limpias, y en nuestra pureza de sentimientos cuyas puertas están abiertas. Y Dios, que es alto, ensalce a vuestra Majestad, cuyas causas son dignas de confianza, y le ayude, a fin de que penetren sus espadas cortantes en la guerra santa de los enemigos de Dios. Y la salutación excelente sea sobre Vos y la misericordia de Dios.»

VII

Carta de Abulhachach Yúsuf a Abuinan Fáres, felicitándole por haber sido reconocida su autoridad en Bugía

Los propósitos del sultán meriní Abuinan Fáres iban más allá de someter a su soberanía el reino de Tremecen. Acariciaba como su padre Abulhásan, extender los límites de su imperio por el Mogreb oriental abatiendo la dinastía hafsí de Tunez, del propio modo que acababa de hacerlo con la abdelguadita del Mogreb central, según se ha referido en los artículos que preceden.

Aún no había hecho su entrada triunfal en la corte mencionada de los príncipes abdelguaditas; permanecía estacionado por septiembre a Octubre de 1352 en Medea, a donde le habían sido traídos y entregados los desgraciados príncipes benizeyan, sorprendidos en su fuga por el señor de Bugía Abuabdála Mohámed, hijo del emir de Tunez Abuzacaria Yahya, en la forma expuesta en artículo anterior, cuando se le presentó el susodicho señor de Bugía, quien siendo recibido por Abuinan con vivas muestras de afecto y amistad y después de celebrada entrambos una conferencia secreta, bien por propio impulso y libre juicio o porque el sultán meriní le diese a entender que era necesario que le entregase su ciudad de Bugía ofreciéndole en compensación el gobierno de Mequinez, es lo cierto que Abuabdála Mohámed salió de aquella conferencia publicando que cedía de buen grado su provincia al sultán de Fez.

Abuinan, dueño de Bugía, confió su gobierno a uno de sus jefes llamado Omar, hijo de Alí, de la familia de los Ulad Alguazir.

Cuando Abuabdála Mohámed hizo pública su abdicación en favor de Abuinan, su ministro Farah que de hecho no le había dejado más que la sombra del poder, experimentó gran contrariedad; mas tuvo la habilidad de disimular su resentimiento, y al partir Omar, hijo de Alí, para Bugía a encargarse de su gobierno por el sultán de Fez, marchó aquél también a la misma ciudad, a fin de recoger el harem, los efectos y mobiliario de palacio pertenecientes a su señor Abuabdála y transportarlos al Mogreb más remoto.

En Bugía prestó oídos Fárah a las confidencias secretas de los sanhacha, que constituían el cuerpo de tropas más poderoso de la provincia y se quejaban de haber pasado a depender de tan tiránico gobierno, y llegó a aconsejarles que echasen de la ciudad a los funcionarios meriníes y proclamasen la soberanía del príncipe hafsí Abuzaid, señor de Constantina.

A poco estallaba una revuelta en Bugía, era asesinado el gobernador merini y Fárah, instigador de los sucesos, hacía proclamar en alta voz la soberanía de Abuzaid. Todo esto acontecía en Enero de 1353. Por un correo extraordinario recibió Abuzaid la nueva de la revolución de Bugía y la invitación de dirigirse a ella lo más pronto posible; pero en lugar de partir en persona, se contentó con enviar a uno de sus jefes, liberto de origen europeo, en calidad de gobernador suyo.

Sospechando Abuinan que el emir Abuabdála Mohámed, de acuerdo con su ministro Fárah, hubiese tramado aquella revuelta, le encerró en prisiones, así como también a otros muchos notables de Bugía que habían venido a la corte de Abuinan con cierta misión que les había sido encomendada por sus conciudadanos.

Estos actos de vigor y el desacuerdo de los notables de la ciudad, produjeron un movimiento de reacción favorable para los meriníes, y Fárah fué a su vez víctima de la nueva conspiración, y su cabeza enviada inmediatamente a presencia de Abuinan con una protesta de adhesión a su autoridad.

Los sanhacha, que se habían opuesto tenazmente a esta reacción, tuvieron que abandonar apresuradamente la ciudad.

A la sazón de esto se hallaba en la rada un barco que conducía a un servidor de Abuinan, llamado Ahmed, hijo de Said, el de Carmona, por ser natural de esta ciudad de España, procedente de Tunez, a donde le había llevado el desempeño de algunos asuntos. Los habitantes de la ciudad le hicieron desembarcar entre los vivas al sultán merini, y por su consejo despacharon un correo a Tahyaten hijo de Omar, hijo de Abdelmumen Almugasni, jeque merini que gobernaba en Tedellis. Tahyaten no tardó en presentarse en Bugía con algunas tropas. También enviaron aquellos otro correo anunciando los nuevos sucesos al sultán merini, que inmediatamente ordenó a su primer ministro Mohámed, hijo de Abuámer, que partiese para Bugía con un cuerpo de tropas escogidas. Los sanhachas que en un principio habían tomado posiciones para oponerse a su avance, tomaron la fuga a la vista de las tropas meriníes de Aben Abuámer y marcharon a ofrecer sus servicios al emir hafsí de Tunez.

En Febrero de 1353 Aben Abuámer hizo su entrada en Bugía y res-

tablecido el orden en la ciudad, otorgó vestiduras de honor a los jeques que se habían distinguido a favor de la dominación merini, y mandó prender y embarcar para el Mogreb más remoto a otros muchos individuos del populacho y jefes de banda, sospechosos de haber tomado parte en la revuelta contra la soberanía de su señor el sultán de Fez. (1).

De estos sucesos dió conocimiento Abuinan Fáres a su colega de Granada Abulhachach Yúsuf, en carta que contestó el segundo por mano de su secretario Abenaljatib, felicitándole, en la siguiente forma:

واستولى رحمه الله على مدينة بجاية ثم ثار بعض كبار وطنها بقايده وقتله وامتنعت[2]) عنه واستدرك اهلها بعد ذلك الامر فتغلبوا عليه ورجعت دعوته اليه ووصل كتابه يعرف بذلك في اوآيل ربيع الاول من عام اربعة وخمسين وسبعماية[3]).

المقام الذى اشرقت بافق الاعلى نجوم[4]) الفتوح ، وجرت جياد سعوده في ميدان النصر العزيز طلق الجموح ، وجاءت دولته الفارسيّة على ايضح السعد باحسن الشروح ، وتاوّد الدلايل ارتياحًا بعرة تاوّد الغصن المروح ، مقام محلّ اخينا الذي حديد سيفه بينه وبين[5]) مغناطيس الفتوح ، خصّيصًا عجيبه ، وغريم سعده له في اعناق الليالى والايام وجيبه ، ومندى طاعته اذا دعا دعت له المسائل قريبه ، والمعالى مجيبه ، السلطان الجليل الرفيع الشهير الاسعد الاوحد الامجد الاطهر الاظهر الاحفل الافضل الاعز الامنع المجاهد الامضى المؤيّد المعين المنصور الاعلى جواد الاجواد ، اسد الاسد ، السعيد الدوله ، العظيم الصوله ، المعظّم الموقّر المبجّل المؤمّل امير المومنين ابي عنان بن

(1) V. Abenjaldun, ob. cit. t. IV, págs. 295 y sigs., y Mercier, ob. también citada II, págs. 310-11.

2) En cód. 1712 (A) fol. 24 y sigs. وامعت sin puntos. 3) En cód. 1825 (B) se expresa así el motivo de esta carta, fol. 58 v.: ولما استولى رحمه الله على بجاية ثم ثار بعض كبار وطنها بقايده وقتله فاستدرك اهلها بعد ذلك الامر فتغلبوا عليه ورجعت الدعوة بها اليه ووصل كتابه يعرف بذلك صدرت مراجعته عن سلطان الاندلس ابي الحجاج بن نصر رحمه الله من املائي بما نصه. 4) En B فجر.

5) En B simplemente بين por las dos últimas de A.

محلّ والدنا السلطان الجليل الرفيع الكبير الشهير الظاهر الطاهر الاوحد الاسمى الفاضل العادل المجاهد الامضى المعظم الاعلى صاحب الجهاد المبرور ، والسعي المشكور ، المقدّس الارضى امير المسلمين ابي الحسن بن السلطان الجليل الرفيع الكبير الشهير الطاهر الظاهر الماجد الحافل الجواد الباذل المعظم الموقّر المجاهد الارضى صاحب الرفد المبذول ، والثناء الموصول ، امير المسلمين ابي سعيد ابن السلطان الجليل الكبير الاوحد الاسعد الاطهر الاظهر الامجد العادل الفاضل الصالح المجاهد المرابط الارضى صاحب الحرب والمحراب امير المسلمين المجاهد في سبيل رب العلمين المقدّس الارضى ابى يوسف بن عبد الحق ابقاه الله[1]) والمحامد بذكره كلفه ، والقلوب على طاعته موقلفه ، والسيوف والاقلام بخدمته متّصفه ، والالسنة في الاقرار بعجزها عمّا يجب له منصفه ، معظّم مقامه الذي تعظيمه فرض لازم ، والقول باجلاله واكباره قول جازم ، وموقر ملكه الذي له التوقير مخالف ملازم ، الامير عبد الله يوسف بن امير المسلمين اسماعيل[2]) بن فرج بن نصر سلام كريم ، طيب بر عميم[3]) ، كما زحفت للصباح شهب الكواكب[4]) ، وفجّر الفجر نهر النهار فطفا فوقه حباب الكواكب ، يخصّ مقامكم الاعلى ، واخوتكم الفضلى ، ورحمة الله وبركاته .. اما بعد حمد الله الذي آلاؤه العميمة لا يحصر عددها ، وصنايعه الكريمة لا ينقطع عمّن توكل عليه مددها ، وفتوحاته لاوليآيه وصفوة خلقايه لا يبلغ بالافهام امدها ، الفتّاح العليم قاصر العرايم وموييدها ، وموفق الآرآء ومسددها ، الذي اذا قرّب مسافة امل فمن ذا يبعّدها ، واذا اعطى فمن ذا يسوّف عطاياه او يرددها ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله ذى المعجزات التي هي الشمس ضل من ينكرها او يجحدها ، امام الرسل الكرام وسيدها واحمدها ومحمّدها ، وخاتم النبيين الذي كمل به عددها ، وشفيع الخلآيق يوم الفزع الاكبر ومعتمدها ، الذي ندّخر محبّته ونجدها ،

1) En B se ha omitido la expresión genealógica de A que antecede, y se lee únicamente: السلطان الكذا ابى عنان ابقاه الله. 2) En B se pone el sobrenombre ابي الوليد. 3) En B faltan las tres últimas palabras. 4) En B المراكب.

ونلجا الى ظلال وسيلته فلا يخلفنا ان شاء الله موعدها ، ونمحض الود في مرضاته ، ونصل اليد لاقامة سنّته ومفترضاته ، فنتعرّف الاعانة ونتعددها[1]) .·. والرضاء عن آله واصحابه ، وانصاره واحزابه ، الذين هم كنوز الملة السمحة وعددها ، وانجمها التي لا يضل من يستر شدها ، فبنصرهم طالت يدها ، واستقام اودها ، حتى اورثهم الله ما زوى له من الارض بالعزآيم القآيمة على اساس اليقين عمدها ، فدان لهم ادنى الممالك[2]) وابعدها ، وسطا بمثلث الامم موحدها ، وتمت كلمة الله صدقا وعدلا يتوارثها عن الابآء ولدها ، وينافس فيها اليوم غدها ، .·. والدعاء لمقامكم الاسمى[3]) بالنصر الذي يثبت آيات الفخر ويخلّدها ، والسعد الذي يصون[4]) ملابس العز ويجدّدها ، ولا زالت حجج سيوفكم المالكيّة يصيب شاكلة الحق من يتقلدها ، وادوية[5]) سياستكم المرضيّة يشفي العلل مركبها ومفردها ، ومشارع جودكم العميم تروي من يردها ، فانّا كتبناه اليكم كتب الله لكم عناية يتّضح مقصدها ، وسعادة تروي احاديث الصنع الجميل وتسندها ، من حمراء غرناطة حرسها الله ولا زايد[6]) بفضل الله سبحانه ، ثم بما عندنا من التشيّع في مقامكم اعلى الله سلطانه ، الّا الخير الذي سحايبه ثرّه ، والصنع الجميل الذي مبسمه ضاحكة مفترّه ، والانباء التي لا تعدم معها مسرّه ، والصنايع التي الطافها بالاسلام برّه ، وجانبكم عندنا عليه بعد الله المعوّل ، والاخلاص لكم هو لدينا المعقول الاوّل ، وما يفتح[7]) الله لكم من منحه الكريمة هو عندنا المنح المهنّا المخوّل ، والى هذا ايّد الله امركم ، واعزّ نصركم ، فانّنا لا نزال على ثقة من عناية الله بكم في كل وجه ترمون[8]) الى هدفه ، وتطلعون كواكب رايكم الميمون في سدفه ، لما نعلمه من سعدكم الذي يروض الصعاب اذا رامها ، وعزمكم الذي يتناول الامور المبرمة فيحل ابرامها ، ويسهّل مرامها ، وهمّتكم التي تروم الكواكب فتزاحم اجرامها ، ونعتقد[9]) ان الذي سدد من عزمكم السهام فاصابت ، ودعا السحاب

1) En A ونتعودها. 2) En B الاماكن. 3) En B الاسنى. 4) En B يسوق. 5) En B واودية. 6) En B مزيد. 7) En B وبما فتح. 8) En B تومون. 9) En B وتعتقد.

الهجام[1]) فصابت ، انما هو ثمرة نية خلصت لله لم يشبّ صفوها شايب ، وخبيئة صالحة للمسلمين تساوى فيها حاضر منهم وغايب ، وكنّا قد اتّصل بنا ان مقامكم خطب مدينة بجاية فالقت المقاد ، وراجعت الاعتقاد ، وانّ من كان لنظره امرها لما تلي عليه ان الله يامركم ان تودّوا الامانات الى اهلها اذعن للحق وانقاد ، ثم تخللت[2]) المراوضة امور ، وحدث في اثناء الوصل نفور ، وللحقّ من بعد الاحتجاب سفور ، ولله في كل شيء قدر مقدور ، فجعلنا نرتقب لتلك الحال ملّا يحمد ، وعاقبة[3]) يسرّ بها ذلك المقام الاسعد ، فكلما اختلفت الاحاديث نظرْنا[4]) في رجالها وطرقها ، ورمْنا الجمع بين متعارضها ومفترقها ، واستعملنا ميزان التعديل والترجيح[5]) ، لتخليص السقيم من الصحيح ، فلما ورد رسولنا من بابكم وقد عنى بكشف المشكل ، وتقييد المهمل ، ووفى بحمل المعنعن والمسلسل ، وعرفنا بالفتح الذي تشمخ به الانوف ، وتبسم لمسرّته السيوف ، وترتاح لعزّه الجياد الجرد ، ويتاود[6]) لذكره الرماح الملد ، فتح بجاية حرسها الله وما بجاية الا[7]) باب الشرق ، وذات الاصالة بواجب الحق ، ومن لها في ميدان افتخار البلدان قصب السبق العتيقة البنا ، السامية المينا ، الانيقة البقعة ، الخصيبة الرقعة ، دار[8]) البسالة على طول المدّة ، ومعقل الملوك عند الشدّة ، ازرتْ على القواعد بزيرها وعمادها[9]) ، وباءت ببادينها وحمّادها[10]) ، وصابرت الازمات على اتّصال[11]) امادها ، فهي العقيلة التي اشرفت[12]) يوم الافتخار باسمى تليل ، وسفرت للابصار[13]) عن كل مرأى جميل ، وقعدت على منصّة التشريف والتفضيل ، وضمن عليل نسيمها شفاء العليل ، وتختمت بالثريّا وتعصّبت بالاكليل ، وزرت برفيعها وبديعها على الفرات والنيل ، دار الجياد المجنوبة ، والاساطيل المرهوبة ، ومرفا السفن ومحط الركاب ، وملتقى جوابي[14]) البيدا وخايضي[15]) العباب ، تهوى اليها اجنحة

1) En B الجهام. 2) En A تحللت. 3) En B وعاقبة 4) Falta en B. 5) En B والتجريح. 6) En B وتتاود. 7) Falta en A. 8) En A دات. 9) En A ومنادها. 10) En A sin puntos toda la frase última 11) En B طول 12) En B اشرقت. 13) En B للاسلام. 14) En B جوابة. 15) En B او خليص.

الشرع شارعه ، وتبتدرها قوافل السفن متسارعه[1]) ، ما بين مخبرة عن مدينة الاسكندر[2]) ، ومطرفة بانباء[3]) رومة بني الاصفر ، وصادرة عن السواحل العكّيه ، ومحدثة بغرايب التركيه ، وشاكية أليم الكرب ، ناحية[4]) من ظلمة أقيانس الغرب ، القت اليد الى طاعتكم على شهرة ابديها وشماسها ، ومنعة وضْعها وشهامة ناسها ، لمّا علمت أن مغالب الحق مغلوب ، ومحارب القدرة الالاهية محروب ، وحرون اللجاج مقود مجنوب ، ومكابر البرهان الى الجهل منسوب ، فصانتها اصالة رأيها في الطاعة عن الخطل ، وتحلت منابرها بذكركم من بعد العطل ، وطابت بايالتكم الفارسية نفسا ، واستشعرت سرورا وانسا ، وكانت قد عدمت ناصر الدين معنى فوجدت ناصر الدين معنًى وحسًّا ، وخشعت اصوات اهلها للرحمان ، من بعد الاجهار بالاباية والاعلان ، فلا تسمع الا همسا ، واصبح ملككم مطلا على ما وراءها من الجهات ، ناسخا بحكم الحق حجج النزهات ، وان كانت قد ابدت نفارا وتيها ، وعاودت عادة بجنيها[5]) ، فالتيه من عادة الغاده[6]) ، والتمنّع من شيمة الكريمة فانما هو المطل وبعده يحسن[7]) الوصل والوعد ، والانجاز من بعد والبرق والرعد ، وفي اثره الغمام الرغد ، واهون المكسوب رخيصه ، ولذة الصيد ان يطارد قنيصه ، وان[8]) اظهر[9]) دللا ، فما اخفت مللا[10]) ، وان رامت دفاعا ، فما اضمرت خلافا ولا امتناعا ، فقد كانت خجلة من نشوزها المتقدّم ، فارعة[11]) سن المتندّم ، معلنة بفرط[12]) الكلف متبريه[13]) من الصلف ، معترفة بحقوق من سلف لكم من كريم السلف ، مستدركة ما فاتها في[14]) ايامكم السعيدة المستقبله ، باخعة بتوبتها والتايب من الذنب كمن لا ذنب له ، فلما تحققنا هذا الخبر الذي هو علم في عواتق[15]) الاخبار ، وشنب في ثغور الثغور وخفر في خدود الامصار ، وسجده في سورة الفتوحات الكبار ، واثر حقه ان يكتب بمداد آليل في قرطاس النهر ، قلنا تحصل الامل ،

1) En B مشارعة. 2) En B الاسكندرية. 3) En A مانفا. 4) En A ناجية. 5) En B تجنيها. 6) En B العادة. 7) En B يحصل. 8) En B واذ. 9) En B أظهرت. 10) En B ملالا y بلالا. 11) En B قارعة. 12) En B بطوق. 13) En A sin puntos. 14) En B من. 15) En B هذا.

ولما ثبت الحديث وجب العمل ، وهذا امر لنا فيه الناقة والجمل ، اذا فتح الله
على من نومّل[1]) نصره فعلينا فتح ، واذا منح من نرجو اعانته فايانا منح ، الان
زادت الخطة المرجوة سعه ، واستانفت الملك الذي نعتدّ[2]) به تمهيدا ودعه ،
وآن ان يحصر في مرضات الله ما زرعه ، الان امكن الاستعداد ، وتيسر الحج
وبعده ان شاء الله يتيسر الجهاد ، فاعطينا السرور به[3]) ما شاه ، واتبعنا الدلو
فيه رشاه ، وعمرنا بترديد الحمد لله ضحى الزمان وعشاه ، وبادرنا بتوجيه من
يودي عنا حق الهنا ، بهذه الالاء ويسلك في توفية ما عندنا من السرور بها[4])
على سبيل السوا ، فاخترنا لذلك فلانا وصل الله سلامته ، ويمن ظعنه واقامته ،
وحملناه من تقرير ما لدينا من الود الذي صدق انتاجه[5]) ، وقطع المعاند[6])
احتجاجه ، وراق على اعطاف الخلوص ديباجه ، ما نرجو ان يقوم بما
امكن من حقه ، ويسلك في تبليغه لاحب طرقه ، وفضلكم كفيل بالاصغاء لما[7])
يلقيه ، والقبول على ما يوديه ، والله تعلى يبقي ملككم متاودة بالنصر عواليه ،
مسرورا سعادته من يواليه ، وهو سبحانه يصل سعدكم ، ويحرس مجدكم ،
والسلام الكريم يخص مقامكم الاعلى ، واخوتكم الفضلى[8]) ، ورحمة الله تعلى
وبركاته .·. وكتب في الثاني عشر لشهر ربيع الاول المبارك من عام اربعة
وخمسين وسبعماية.

«Y se hizo dueño (Abuinan)—Dios se apiade de él— de la ciudad de Bugía; luego se alzó uno de los grandes de su región contra el alcaide de aquél y le dió muerte, y (la ciudad) rechazó su dominación. Pero después de esto los habitantes de la ciudad repararon su falta y apoderándose de aquél (rebelde) volvieron su obediencia a Abuinan. Y llegó carta de este notificando ese suceso en los comienzos de Rebia 1.º del año 754 (1353) (9):»

1) En B نامل 2) En A يعتد 3) En A بها 4) Falta en B. 5) En B أبتهاجه. 6) En B المعابر. 7) En B الى ما. 8) Faltan en B las dos últimas palabras.

(9) Casi en los mismos términos se expresa el motivo de esta carta en el cód. B: «Y cuando se hizo dueño (Abuinan) —Dios se apiade de él— de la ciudad de Bugía y luego se alzó uno de los grandes de su tierra contra el alcaide de aquél y le mató; pero sus habitantes repararon la falta, se apoderaron de aquél (rebelde) y volvieron a la obediencia de Abuinan, y llegó carta de éste notificando todo eso, contesté de orden del sultán de España Abulhachach, hijo de Názar —Dios se apiade de él— por mi mano, con lo que sigue textualmente:»

A esa carta enviada por Abuinan contestó Abenaljatib, de orden de de su señor Abulhachach Yúsuf, con la siguiente:

«El estado en cuyo horizonte muy alto brillan los astros de las victorias; los nobles corceles de sus felices augurios corren a riendas sueltas en el hipódromo del auxilio divino ilustre; su dinastía de origen farisí aporta los más bellos comentarios sobre la brillante exposición de la fortuna, y el (vástago) que sucede se encorva reposando en su pode, como se encorva la rama bien aireada. Estado como hermano nuestro de quien la punta del sable entre él y las piedras de imán de las victorias, es propiedad admirable, y el deudor de su fortuna en las mismas noches y días (del cumplimiento) le satisface su obligación, y cuando el vocero de su obediencia llama, son para él cercanas las veredas y los servidores le responden favorablemente, excelente, alto, célebre, muy feliz, único, muy glorioso, muy puro, muy esclarecido, muy aplicado, muy perfecto, muy poderoso, muy invencible, el campeón de la guerra santa más penetrante, el asistido, el auxiliado por Dios, el victorioso más alto, el más excelente de los excelentes, el bravo de los bravos, el feliz de la dinastía, el magnífico del ataque, el engrandecido, el venerado, el colmado de honores, el que ve cumplidas sus esperanzas, emir de los creyentes Abuinan, hijo del que (fué) como nuestro padre, el sultán excelente, alto, grande, célebre, famoso, puro, único, muy ilustre, el virtuoso, el justo, el campeón de la guerra santa más penetrante, el más altamente engrandecido, el de la guerra santa piadosa y del esfuerzo alabado, el santificado, el satisfecho por Dios, emir de los muslimes Abulhásan, hijo del sultán excelente, alto, grande, célebre, puro, famoso, glorioso, perfecto, noble, generoso, el engrandecido, el venerado, el campeón de la guerra santa, el satisfecho por Dios, el de los regalos dados graciosamente, y el de los elogios continuados, emir de los muslimes Abusaid, hijo del sultán excelente, grande, único, muy feliz, muy puro, muy esclarecido, muy glorioso, el justo, el virtuoso, el recto, el campeón de la guerra santa, el morabito, el satisfecho por Dios, el de la guerra y del *mihrab*, emir de los muslimes que se esforzaba en seguir el sendero del señor de los mundos, el santificado más satisfecho por Dios, Abuyúsuf, hijo de Abdelhac—Dios le haga perdurable y las acciones laudables enamoradas de su renombre, los corazones inclinados de conformidad a su obediencia, los sables y las plumas adornadas con su servicio y las lenguas sirviendo en confirmar su impotencia para expresar lo que le es debido.—Un venerador de su Estado a quien venerar es un estatuto obligatorio y las palabras empleadas en honrarle y engrandecerle son palabras decretadas, y un reverenciador de su Magestad a quien reverenciar es cosa ya jurada y

comprometida, el emir siervo de Dios Yúsuf, hijo del emir de los muslimes Ismail, hijo de Fárach, hijo de Názar salutación noble, buena, sincera, cumplida, como se desvanecen a la mañana los astros del brillante cortejo, y hace aparecer el alba la claridad del día y se muestran sobre ella las amadas estrellas, tributa a vuestro Estado muy alto y a vuestros hermanos muy excelentes, y la misericordia de Dios y sus bendiciones.

Ahora bien; después de alabar a Dios de quien el número de sus generales beneficios es incalculable, de quien el socorro de sus acciones generosas no falta para aquel que a él se encomienda y de quien el límite de sus victorias concedidas a sus amigos y queridos califas es incomprensible, el conquistador, el sabio, el que ayuda y auxilia las firmes resoluciones y rectifica y endereza los juicios, el que aproxima las esperanzas aun respecto de aquél que las aleja, y concede sus dádivas aun a aquel que las difiere o las rechaza; y después de la salutación a nuestro jefe y nuestro señor Mohamed, su profeta, el dotado de milagros que son el sol que pierde al que los recusa o niega, príncipe de los mensajeros ilustres y su jefe, el más alabado y colmado de elogios entre ellos, sello de los profetas con el cual queda concluído su número, intercesor de las criaturas en el día del gran terror y fiador de ellas, cuyo amor atesoraremos y encontraremos, nos refugiaremos bajo las sombras de su influencia, y no nos faltará, si quiere Dios, su prometido; le profesaremos puro amor; le juraremos mantener su ley y sus constituciones y conoceremos y reiteraremos el auxilio; y después de solicitar la piedad de Dios respecto de la familia de aquél y de sus compañeros, auxiliares y partidarios que son los tesoros escondidos de la buena religión, sus instrumentos y sus astros que no pierden a aquel a quien recubre su fuerza; por cuyo auxilio se extendió el poder de aquella y se mantuvo recta su carga hasta que Dios les dió por herencia lo que había reunido de la tierra para sí por las firmes resoluciones que levantaron las columnas de aquella (religión) sobre cimientos verdaderos; y se sometieron a ellos los estados más próximos y los más remotos, y se triplicaron las naciones únicas de aquella, y quedó cumplida la palabra de Dios verdadera y justamente, para que la heredaran de los padres sus hijos y rivalizase por su posesión el día de hoy con el de mañana: y después de invocar a favor de vuestro Estado muy alto el auxilio divino que confirme los prodigios de la gloria y los eternice, y la felicidad que preserve y renueve las vestiduras del honor, y no cesen las pruebas de vuestros sables reales de conseguir el lado del derecho de aquel que se los ciña; los remedios curátivos de vuestra administración curen los defectos, tanto sus compuestos como sus simples, y los abrevaderos de vuestra liberalidad universal sacien abundantemente a los que desciendan a beber en ella.

Nos os escribimos esta—Dios os tenga acordada una providencia cuyo propósito sea evidente y una felicidad que se recuerde y apoye las tradiciones de la influencia divina excelente—desde la Alhambra de Granada—guárdela Dios y no acreciente otra cosa, por virtud de Dios que es alabado, y luego por virtud de la adhesión que existe en Nos hacia vuestro Estado—Dios ensalce su imperio—sino el bien cuyas nubes sean abundantes, la influencia divina excelente cuyas bocas se sonrían mostrando sus dientes, las buenas nuevas con las cuales no falte la alegría, y los favores divinos cuya gracia para el Islam es justificada.

Vuestra Alteza es después de Dios, aquello en que Nos tenemos puesta la confianza; la sinceridad para Vos es para nosotros el primer deber, y lo que Dios os concede de generosos beneficios es para Nos un beneficio de cuyo otorgamiento nos felicitamos.

A mas de esto—Dios ayude vuestro gobierno y favorezca vuestro auxilio—Nos no cesamos de confiar en la providencia de Dios para Vos en todo negocio cuyo fin apetecéis y en cuyo aclaramiento aparecen los astros de vuestro juicio afortunado; por lo que sabemos de vuestra felicidad la cual allana las cosas difíciles cuando las deseáis, de vuestra firme resolución que consigue los asuntos embrollados desatando su anudamiento y facilitando su consecución, y de vuestro celo que desean ardientemente los astros y se apresuran (hacia él) sus cuerpos luminosos. Creemos firmemente que contra lo que se disparan las flechas de vuestra firme resolución, tocan en ello, y si pide nubes que sobrevengan de improviso, descargan éstas su agua efectivamente. Tan sólo es ello fruto de una intención que es limpia para Dios, de modo que en su pureza no se entremezcla mancha alguna, y de una intimidad sana para los muslimes, en la cual son iguales tanto el presente como el ausente de ellos.

Había llegado a nuestra noticia que vuestro Estado demandó la ciudad de Bugía y ella se dejó conducir y tornó a la convicción, y que aquel que tenía a su cuidado el gobierno de ella, luego que conoció que Dios os ordenaba que se diese testimonio de guardar las seguridades a sus habitantes, se sometió a la justicia y prestó la obediencia. Luego se agriaron las disputas de los asuntos, y en medio de la unión sobrevino la repulsión y para la justicia después de haberse ocultado, se descubrió su faz y para Dios en toda cosa un poder decretado.

Comenzamos a esperar para ese Estado un fin que fuese digno de alabanza y un resultado con el cual se regocijase esa Alteza muy feliz; deseamos la unión entre sus contradicciones y diferencias, y empleamos la balanza de la justificación y comprobación para limpiar lo apócrifo de

lo auténtico. Y cuando llegó nuestro embajador de vuestra Puerta, ya se había ocupado en el examen de las dificultades, en la enmienda de lo omitido y había estudiado las tradiciones fundadas en sucesivas autoridades y las encadenadas, y conocimos la conquista por la cual se enorgullecen las narices, por cuyo contento se sonrien los sables, por cuyo honor se alegran los nobles caballos rasos, y en su memoria se encorvan las flexibles lanzas: la conquista de Bugía—guárdela Dios— ¿Y qué es Bugía? Puerto del oriente y dotado de noble origen por justo derecho. ¿Y quién en el hipódromo de la rivalidad de la gloria de las ciudades le cortó la delantera? Es de antigua construcción, notable en vidrios esmaltados, de campos pintorescos y fértiles terrenos, mansión de la llanura en la longitud del tiempo y fortaleza de refugio de los reyes al tiempo de la adversidad. Desprecia a las capitales sus grandes jarras y columnas, se gloria con su desierto y planicie rocosa y pacientemente se aplica con esfuerzo a continuar su carrera; pues ella es la esposa más preciada que se elevará el día de la glorificación sobre la más alta cumbre y se mostrará bella a todo aspecto, tomará asiento sobre la silla nupcial del ennoblecimiento y esclarecimiento y su céfiro suave bien perfumado garantizará la curación del enfermo; ocultará a las pleyades, ceñirá a su cabeza la diadema y con su elevación y rango extraordinario mirará con desprecio al Eufrates y al Nilo. Casa de los caballos excelentes de conducción fácil y de las flotas formidables; puerto de albergue de los barcos y desembarcadero de navegantes; lugar de encuentro de los caminantes del desierto peligroso y de los que se lanzan entre las olas inflamadas; hacia ella tienden las alas de las velas sus navegantes y a ella corren presurosas las caravanas de sus barcos. Ella entre haciendo conocer la ciudad de Alejandro, refiriendo las nuevas de la Roma de los cristianos, derivada de las márgenes de Akko, contando las maravillas de Turquía, quejándose del mar de la tristeza rescatada de las tinieblas del oceano del occidente, tendió la mano hacia vuestra obediencia a pesar del renombre de sus padres y su obstinación de lo inexpugnable de su posición y de la bravura de su gente, cuando conoció que quien pretende vencer al derecho, es vencido, el que combate el poder divino, es combatido, quien se muestra reacio a las riendas, es conducido en trailla, y el que se obstina en rechazar las pruebas, se hace pertinente a la estulticia. La nobleza de su juicio en la sumisión (a Vos) le preservó de los pretextos fútiles, y sus púlpitos se adornaron con vuestra mansión sin necesidad de ornamentos. Se hizo bien a sí misma con vuestra autoridad Farisí y experimentó alegría y regocijo familiar. Había carecido de un defensor de la patria en significación y en realidad. Se humillaron las voces de su gente delante del

misericordioso después de publicar y divulgar la negativa, y no se escuchaba más que un murmullo entre dientes. Apareció vuestra Majestad dominando sobre las partes de detrás de ella, aboliendo por virtud del derecho los argumentos de los placeres. Aunque había manifestado aversión e indiferencia y reiterado la costumbre su fruto, mas como la indiferencia es por costumbre una rama tierna y el hacerse inaccesible es de natural noble, únicamente fué ello una dilación, tras de la cual se hizo bien el finiquito y la promesa, y después el cumplimiento de lo prometido; luego los resplandores y los truenos y en su vestigio las nubes de prosperidad que revientan con fuerza lo ganado a buen precio. El placer del cazador es perseguir su presa, y aunque ella manifestó familiaridad, no ocultó el enojo y aunque deseó la dilación, no ocultó la oposición y la repugnancia. Ya estaba avergonzada de su rebeldía anterior, buscando con temor refugio de arrepentimiento, sintiendo abiertamente el abandono del amor, libertada de la vanagloria del desdén, reconociendo los derechos de quien prestó a Vos un ilustre préstamo, deseando reparar en vuestros días felices del porvenir lo que había escapado a ella, manifestando su arrepentimiento, y el que se arrepiente de la falta es como el que no tiene falta.

Cuando hemos sabido con certeza esa nueva que es un límite en los hombros de las nuevas, una blancura en los dientes de las bocas, una guarda en las tropas de las grandes ciudades, como el color rojizo del ojo en la fila de las grandes conquistas y hazaña que se debe escribir con tinta de la noche en papel del día, dijimos: fué conseguida la esperanza.

Y cuando es firme la tradición es obligatoria la práctica. En ese negocio tenemos nosotros la camella y el camello. Si Dios favorece a aquél para quien esperamos el auxilio divino, a nosotros también favorece, y cuando concede sus dones a aquel en cuyo favor los esperamos, también a nosotros otorga sus beneficios.

Ahora se acrecentará la tierra cuya grande dilatación es esperada y comenzará el reino con que contamos para tener vida próspera y tranquila; ahora si que se recogerá en satisfacción de Dios, la mies que se sembró: ahora será posible estar prestos, será fácil la peregrinación a la Meca, y después, si quiere Dios, será fácil la guerra santa, con la cual nos alegraremos cuanto quiera y alcanzaremos el cubo en el cual su soga, y viviremos repitiendo la alabanza a Dios a la hora de elevarse el sol y a la caída de la tarde.

Nos hemos apresurado en enviar quien cumpliese por Nos el deber de la felicitación por esos beneficios y quien caminase por el camino llano en la expresión de la alegría que sentimos por ellos. Para este

efecto hemos preferido a Fulano – Dios haga duradera su salud y le otorgue feliz partida y estada –y le hemos encargado con insistencia que ratifique de nuestro afecto (hacia Vos) cuya conclusión es verdadera, cuya argumentación corta el camino al que la resiste, y cuya vestidura de seda a dibujos aparece clara sobre los flancos de la sinceridad, cuanto esperamos que ha de satisfacer de todo lo que es posible su exigencia, y que siga en la realización de su cometido el camino más grande. Y vuestra Excelencia es garante de recibir bien lo que os comunicará y de aceptar con agrado su cumplimiento, y Dios – que es alto—haga permanente a V. Magestad, encorvadas sus lanzas con el auxilio divino, regocijándose por vuestra fortuna quien sea vuestro amigo, y El—que es alabado haga continuada vuestra felicidad y guarde vuestra gloria, y la salutación ilustre tribute a vuestro Estado muy alto y a vuestros hermanos muy excelentes, y la misericordia de Dios, que es alto, y sus bendiciones. Fué escrita en doce del mes Rebia el primero bendito del año setecientos cincuenta y cuatro.

M. Gaspar Remiro.